الرموز الشعبية ودورها في اعمال النحت الخزفي.

د. محمد محمد صلاح درويش	كلية التربية الأساسية	قسم التربية الفنية
د. عبدالمحسن إبراهيم الصانع	كلية التربية الأساسية	قسم التربية الفنية

مقدمة:

"يعتبر الرمز من أهم عناصر التراث الشعبي فهو موجود في معنى ومضمون وموضوع أي عمل تشكيلي شعبي، فنادراً ما ترى عملاً تشكيلياً شعبياً إلا والرمز يمثل قيمته، ويقربه من ذوق العامة.

والرمز من الناحية الفنية لغة تشكيلية يستخدمها الفنان للتعبير عن أحاسيسه وانفعالاته نحو كل ما يهز مشاعره من أفكار ومعتقدات، وكلما تعرفنا على تلك اللغة وأجدنا تفسيرها، أصبحنا أكثر قدرة على فهم ودراسة الفنون الشعبية. إنه الوحدة الفنية التي يختارها الفنان الشعبي من محيطه لكي يزين بها إنتاجه الفني، ويكسبه طابعاً خاصاً، بشرط أن يكون الرمز محملاً بقيم المجتمع الثقافية والفكرية. الرمز قد يكون شكلاً لطير يهواه الفنان، أو نبات يعتز به الناس، أو حيوان محبوب أو وحش تخشاه الجماعة، وقد يكون شكلاً لشيء شائع الاستخدام أو خطوطاً هندسية أو مصطلحات أخرى لها معنى وقيمة تنتشر بين الجماعة وتستمر كرمز متفق عليه" [1]

يعد الرمز هو صلب الحياة الاجتماعية باعتباره لغة اتصال وحوار بين أفراد المجتمع الواحد حيث يتمثل في دلالات معنية من خلال الرسوم والأشكال وغيرها من أدوات التعبير لأنه "يشير إلى شيء بحسب ما اصطلح عليه العرف أو ما أقرته التقاليد منذ زمن بعيد" [2]

والفنان الشعبي يعبر أثر ما يعبر عن قضايا حيوية واحتياجات هي متطلبات المجتمع وغاية مقاصده بطريقة سهلة وبسيطة، يكشف فيها عن هدف يتجه إلى تحقيقه

مشكلة البحث:

تناول البحث مختارات من التراث الشعبي "عناصر ورموز" وإيضاح أثرها في التشكيل النحتي لهيئات زخرفية معاصرة، بما تتضمنه من قيم جمالية نابعة من البيئة المحيطة بالفنان والتي يمكن من خلالها تحقيق هيئات نحتية مبتكر بأشكال مختلفة.

نجد مشكلة البحث تنحصر لدينا في عدة تساؤلات:

- كيف تم تناول الرموز الشعبي في النحت الخزفي.
- ما امكانية فن رموز أشكال الفنون الشعبية في النحت الخزفي.
- ما هي مدى قدرة استيعاب فن النحت الخزفي لأشكال الرموز الشعبي.

أهمية البحث:

تكمن في : – دور الرموز الشعبي في النحت الخزفي.

- إبراز دور أشكال الرموز الشعبي المختلفة على النحت الزخرفي.
- إلقاء الضوء على مفهوم الرموز في النحت الزخرفي.
- لم تكن الأبحاث السابقة والدراسات المرتبطة في هذا المجال عما حاول الوصول إليه هذا البحث.

الهدف من البحث:

- إلقاء الضوء على العوامل التي أدت إلى تنوع أشكال الرموز التي نهجها الفنان.
- توضيح مدى تأثير الرمز على النحت الخزفي.
- إلقاء الضوء على الأعمال الفنية الخاصة بالرموز.

فروض البحث:

- اثراء فن النحت الخزفي.
- إبراز أشكال الرموز في المنحوتة الخزفية.
- اثبات البعد الجمالي لعلاقة التراث الشعبي بالمنحوتات الخزفية على مر تاريخها الفني.

منهجية البحث:

للوصول إلى تحقيق هدف البحث المنهج الوصفي والتحليلي لبعض نماذج وأعمال النحت الخزفي.

---

[1] - أكرم قانصو : التصوير الشعبي العربي (سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون – الكويت – 1995) – ص 85.

[2] - حسن محمد حسن : الأسس التاريخية للفن التشكيلي المعاصر (دار الفكر العربي، القاهرة، 1979، ج2) ص 113.

ومعنى بارز صياغته ولفت الأنظار إليه من خلال رموزه ونسقه المتفرد والمتميز بمعالجة أمنية لا افتعال فيها، فهي ترتكز على روح الصانع الشعبي ومنهجه ومبادئه ومثله، وقوالبه الفنية المستقبلية ومعطياته النوعية وأسلوبه الذي يهدف من ورائه إلي تماسك العمل وتكامله.[3]

" فالمجتمع هو الذي يحدد قيمة الرمز، وهو الذي يصفي على الأشياء المادية معنى معينا فتصبح رموزاً. فليس هناك مثلا في اللون الأسود ما يجعله بالضرورة رمزاً للحزن، إذ ليس ثمة ما يمنع من أن يكون ذلك اللون هو الأصفر أو الأخضر أو غير ذلك حسبما يصطلح عليه المجتمع، وللفنون الشعبية رموزها الدالة عليها عبر الزمن، إن لها أهميتها ودلالتها العلمية في التعرف على تلك الفنون. فالرمز هو الإشارة الصادقة التي توضح تاريخ الفن الشعبي ومعانيه".[4]

1- ماهية الرمز

" يتم تعريف الرمز عادة بأنه ذلك الشيء الذي يوحي بشيء آخر بفضل وجود علامة معينة بينهما، كما أنه إشارة مصطنعة متفق على معناها بين مجموعة من البشر، فيرمز الأسد إلى القوة والشجاعة، واللون الأبيض إلى الطهارة. كما تختلف دلالات الرموز من منطقة إلى أخرى كما أن معناها يتبدل باختلاف الازمنة. وهذه الرموز لا تمنع من أن يكون للفنان رموزه الخاصة والتي لا يدرك مراميها ودلالاتها سواه".[5]

كما تم تعريفه بأنه "كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه، لا بطريق المطابقة التامة وإنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها. وعادة يكون الرمز بهذا المعنى شيئاً ملموساً يحل محل المجرد. وقد اتفق علماء اللغة المحدثون على أن الرمز عندهم يتميز بصلاحيته للاستعمال في أغراض مختلفة. وتلعب العوامل النفسية بلا شك دوراً هاماً في تحديد دلالته.

ونجد ما يماثل ذلك في قاموس Shorter Oxford Dictionary الذي يعرف الرمز بانه ما يدل على شيء غير ذاته، أو على شيء مكمل لذاته. وهذا معناه أن الرمز يمكن استخدامه بحيث يمثل أشياء خارجة عنه، أو بحيث يعبر عن هذه الأشياء ويصورها شريطة أن تكون هذه الأشياء مرتبطة بالرمز ذاته بطريقة ملائمة".[6]

والرمز هو كل ما يشير إلى شكل أو مدلول مجرد لفلسفة أيديولوجية وهو مكون أساسي لرصيد شعب يريد أن يعطي لغة مختزلة مجردة معبرة، ويعد كل رمز هو لغة عامة يتعارف عليها الجميع، ويعبر الرمز عن قيمة حقيقية في وجدان الأمة، وغالباً ما يرتبط الرمز في الفن الشعبي بأصول الثقافة الحقيقية للمجتمع النابعة من فلسفة حياته.

فالرمز: هو الإشارة الصحيحة التي توضح العصر والزمن الذي أنتج فيه الفن الشعبي– كما أنه مفتاح يمكن عن طريقه البحث في تاريخ تلك الفنون. فإن للفنون الشعبية تاريخها وأصالتها– تلك الأدلة المستمدة من بيئتها ومجتمعها وبالتالي من حياة الشعوب وكفاحها.

الرمز في الفن الشعبي:

للفنون الشعبية رموزها الدالة عليها، المعبرة عنها عبر الزمن والتاريخ. ولهذه الرموز أهميتها ودلالتها العلمية في التعرف على تلك الفنون ؛ ترجع الرموز الشعبية، إلى أصول عقائدية ، لها وجودها الدائم خلال تغير وتحول الثقافات، فهي الروح الحقيقية للشعب، وهي الوسيلة لإشباع رغبة نفسية تعيد الإنسان إلى حالته الاتزانية، كإحساس داخلي بامتصاص ما كان يشغله، والرموز كلمات سحرية مقروءة شكلياً، ترتبط بالمعتقد الخاص بالإنسان، الذي يرتبط بالإشباع النفسي.

المقصود بالرمز في الفنون الشعبية الوحدة الفنية التي يختارها الفنان من بيئته، لكي يجمل بها إنتاجه الفني، ويكسبه طابعاً خاصاً فريداً في نوعه، على أن يكون محملاً بالقيم الثقافية والاجتماعية لبيئته، معبراً عن احاسيس الفنان ومشاعره، ملخصاً لعقائده وأفكاره. فالرمز هنا تلخيص– بلغة الأشكال– لفكر وعقيدة الفنان وبيئته." فالرمز هو العلامة أو العنصر الحقيقي الذي يتم من خلاله معرفة الكثير من تاريخ أو تراث شعب ما، وربما يكون من المناسب في هذا

---

[3] - محمود النبوي الشال: الفنون الشعبية التشكيلية (الهيئة المصرية العامة للكتاب- مجلة الفنون الشعبية- العدد 26- 1989)- ص 12.

[4] - أكرم قانصو: التصوير الشعبي العربي – (المرجع السابق)- ص 85.

[5] - صبري منصور: الرمزية في الفن الحديث (وزارة الإعلام – عالم الفكر، المجلد السادس عشر – العدد الثالث، 1985، الكويت) – ص 136-137، بتصرف

[6] - أحمد أبو زيد: الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي (عالم الفكر، المجلد السادس عشر – العدد الثالث، 1985، وزارة الإعلام، الكويت) ص 5-6، بتصرف.

الصدد ذكر بعض الرموز أو الأشكال الرمزية التي اتخذتها الجماعة الشعبية في مصر كعناصر دالة على مفاهيم ومعتقدات معينة، والتي نجدها في معظم الفنون الإبداعية الشعبية".[7]
وقد يكون الرمز شكلاً مبتكراً يلخص وجهة نظر الفنان الشعبي– وهي عادة وجهة نظر الجماعة– لحادث وقع في البيئة وانفعلوا به. وقد يكون أيضاً شكلاً لشيء شائع الاستخدام في البيئة، يمثل عادة من عاداتهم، أو تقليداً من تقاليدهم. وقد يكون خطأ مجرداً، أو مجموعة من الخطوط لا تعني شيئاً في شكلها الظاهري، إلا أن الفنان يضع لها أسماً يصطلح عليه، وتعرف به وسط الجماعة، والأشكال السابقة التي ذكرناها على سبيل المثال– لا ترتقي إلى مستوى الرمز– إلا إذا كانت محملة بالقيم الاجتماعية والثقافية للبيئة– فليس كل رسم على قطعة خزف، يسمى رمزاً فنياً فهناك كثير من الرسوم والوحدات الزخرفية التي تحمل القيم الثقافية الشعبية.
لهذا تحتاج "الوحدة الفنية" إلى فترة طويلة من الزمن حتى تثبت قيمتها وسط بيئتها وبالتالي تتداول– كاللغة– وهنا تستحق أن تحمل لفظ الرمز– وهذا ليس بغريب، فمن الناحي العلمية نعلم أن الرمز جزء يمثل الكل– ومن هنا فلابد أن يحمل الجزء– وهو الرمز– قيم الكل وهي البيئة".[8]

كما نلاحظ أن للطبيعة وعناصرها دور كبير في انتاج الرموز الشعبية "فالطبيعة والإنسان مرتبطان منذ بدء الخليقة فكلاهما يؤثر في الآخر، فالطبيعة تؤثر على الإنسان من حيث الشكل والسلوك والوجدان، فكلما كانت الطبيعة معتدلة ترى الإنسان هادئ الطباع معتدل المزاج، مرهف الحس. وكلما كانت قاسية نجد تلك القسوة وقد انطبعت على شكله وسلوكه. كذلك الإنسان يتأقلم مع الطبيعة ويستغل إمكانياتها ويسخرها لخدمته قدر استطاعته، هذا بالنسبة للطبيعة المادية للبيئة".[9]

"وإذا تتبعنا الأثر العميق للرموز الطبيعية في التراث الإنساني، لأدركنا الدور الهام الذي لعبته العناصر الرمزية المستوحاة والمحورة من الطبيعة لدى الإنسان.
فالتراث الشعبي الشرقي يزخر بعوالم كاملة من الحيوانات والطيور التي أسبغ عليها الوجدان الشعبي صفات إنسانية، فهي تتكلم وتعلم الإنسان الحكمة. ولقد استخدام المبدع الشعبي رسوم الحيوان والطائر كرموز زخرفية في كثير من أعماله التعبيرية كحليات زخرفية على الأواني الفخارية أو أعمال الخزف وغيرها من أشكال التغبير الفني الشعبي".[10]

وهكذا لو تناولنا الرموز الشعبية بالدراسة والبحث لوجدنا أن كل رمز له امتداده وجذوره البعيدة العميقة في حياة الناس، وتكون الرموز إما مجردة أو شكلية.

- فالرموز المجردة مثل الهلال، والصليب، والدائرة، والمثلث، والسهم، والعين... إلخ.
- أما الرموز الشكلية منها السمكة، والنجوم، الحمام، الكعبة، عروسة البحر، النخل، سعف النخل، السفينة، الطيارة، الجمل، الإبريق، الزهرية، المحمل.....إلخ.

وقد تكون الرموز مباشرة واضحة يمكن فهمها وإدراكها وقد تأخذ شكلاً مجرداً يحتاج إلى تفسير وتأويل مثل المثلثات والأحجبة، والألوان وما إلى ذلك.
ولكي نميز ونتذوق أي عمل فني تشكيلي من خلال الفنون الشعبية، فلابد لنا من امتلاك مفاتيح اللغة التشكيلية التي يعتمد عليها الفنان الشعبي، فالجانب التعبيري من خلال الرمز عنصر له أهميته لتذوق الاعمال الشعبية أو استلهامها من قبل المثقفين.
" يتمتع الرمز في التعبير الشعبي بخاصية المرونة، فنجد رموزا شعبية قد لا تتغير وظيفتها وشكلها على مدى العصور. وكذلك نجد من الرموز ما يتحول، حكم استعمالاته الجديدة– إلى أشكال مغايرة للأصل، ولكن مع الاحتفاظ الدلالة الرمزية، بينما توجد بعض الرموز التي تغير من وظيفتها أيضاً، ولعل الفضل يرجع إلى خاصية المرونة في بقاء وعدم

---

[7]- عديلة محمود سامي: استخدام الرمز الشعبي عند عبدالهادي الجزار ودلالته في التراث الشعبي المصري دراسة تحليلية (رسالة دكتوراه، غير منشورة، المعهد العالي للفنون الشعبية، أكاديمية الفنون، القاهرة، 2001)- ص 56.
[8]- حسين على الشريف: الرمز في الفن الشعبي التشكيلي (مجلة الفنون الشعبية، الثقافية، والإرشاد القومي العدد الثاني- ابريل 1965) – ص 96- 98، بتصرف.
[9]- مرفت حسن السويفي: أتجاهات الخزف المصري المعاصر (مطابع لوتس بالفجالة، القاهرة، 1995)- ص 102.
[10]- عديلة محمود سامي: إستخدام الرمز الشعبي عند عبدالهادي الجزار ودلالته في التراث الشعبي المصري (مرجع سابق)- ص 67- 68، بتصرف.

اندثار كثير من الرموز الشعبية التي ظلت حية في ذاكرة المبدع الشعبي، الذي وظفها في كثير من إبداعاته الفنية، مثل أعمال الفخار والنحت الخزفي وغيرها من الصناعات والفنون التشكيلية الشعبية الأخرى.

واحتفاظ المبدع الشعبي بهذه الرموز كأشكال في ذاكرته لا يعني بأي حال من الأحوال أنه على وعي بأصلها وجذورها التاريخية أو معناها الأصلي، ولكنه ينهل من مخزون اللاوعي الجمعي، فيتوارث أشكال الرموز ويوظفها في فنونه التعبيرية المختلفة، ويغير مع الوقت في أشكالها ووظائفها حتى أصبح الكثير من هذه الرموز بأشكالها المميزة أشكالاً وموتيفات زخرفية تشكل عناصر هامة في فنونه الشعبية التي توارثها عن الأجداد.

لذلك فإن دراسة الرموز الشعبية والوصول إلى جذورها في التراث الشعبي وأصل استعمالاتها قديماً قد يتطلب إخضاعها لدراسات مكثفة بتاريخ ومعنى كل رمز في عموم التراث الإنساني، مع الأخذ في الاعتبار نواحي كثيرة: فلسفية، ودينية، كما أن دراسة هذه الرموز تتطلب أيضاً حساً عالياً قادراً على استشفاف معان وارتباطات وعلاقات خفية في الغالب تكون غير معلومة أو معروفة للمبدع الشعبي نفسه، أو حملة التراث الذين يتوصلون مع قديمهم وتراثهم من خلال الموروثات بدون تدخل للعقل الواعي".[11]

الرموز الشكلية (Motifs)

أشكال الآدمية:

- **القلب:**

يعد القلب هو المعبر عن الوجه الثاني للإنسان، وذلك لما يحويه في جوانبه من عواطف وضمير وأخلاقيات، كما أنه قد يختلف بكل الصور إلى الشر والضرر وسوء النوايا.

ونجد الفنان الشعبي يصوره غالباً وهو يدمي رمزاً والانفعال الشديد، أو مطعوناً بالسهام ليقتل فيه معاني الشر والإيذاء، وهو يتصور في ذات الوقت أنه يقتل ابليس أو الشيطان في رمز يراه في قلب الإنسان.

- **الكف:**

هو رمز للرفض والمنع والخوف من الحسد والهزيمة والاحباط، وكأنه حجاب يترجم هذه المعاني، ويعد علامة من العلامات المميزة للفنان الشعبي وتقاليده، كما يعتبره الفنان أيضاً ملمحاً بخطوط قدرية وراسما لخطوات العمر والسن.

- **العين:**

اعتبر الفنان الشعبي العين رمزاً لمراكز الحسد والإيذاء والشر، وهي النافذة التي يطل منها الشيطان على المرئيات فيصيبها بالأذى ويحقق فيها مآربه القاتلة.

ولهذا نجده يصورها وقد أخترقها سهما ليحبط فيها هذه المعاني ويقلل من تأثيرها الضار.

الأشكال الحيوانية والطبيعية

- **النبات:**

سواء كان رسماً طبيعياً للنبات، أو على شكل محور إلى مجموعة من المثلثات، فهي رمزاً للرزق والخير الممتد.

[11] - عديلة محمود سامي: استخدام الرمز الشعبي عند عبدالهادي الجزار ودلالته في التراث الشعبي المصري(مرجع السابق)- ص 61-63، بتصرف.

- **النخلة:**

رآها الفنان الشعبي كإمرأه مثمرة، ورمز بها للعطاء، والنخيل رمزا ذا معان متأصلة في المعتقدات الشعبية منذ القدم فهي ترمز للازدهار والخصب والإنتاج الوفير.

- **النجم:**

وهو رمز للارتقاء والسمو والإطلال، وتعني صفاء الإنسان المتصف بها وتألقه، كما تعني التميز والإبهار.

- **السمكة:**

هي رمز الحركة والبحث عن الروق، كما ترمز للخير والبركة، والفنان الشعبي استخدامها كثيراً كرمز للخصوبة والإنجاب الوفير ونشر الذرية، ولهذا كان يكثر رسمها أعلى بوابات حديثي الزواج، ويحيطها زخارف نباتية ونجوم بحر.

- **السلحفاة:**

ترمز إلى النى والحكمة والتمهل وعدم التسرع وجلب الخير في المكان، ولمح الفنان الشعبي إلى وقارها وصمتها المعبر، وكان يرسمها إشارة إلى طول العمر، كما صورها في بعض الأحوال مقلوبة على ظهرها ليبطل أو يبدل الدلالة السابقة فتصبح بهذه الهيئة الجديد معبراً عن معنى العجز واللاحول واللاقوة، وهو هنا يجعل من هذا التعبير حجاباً رمزياً له يؤمنه من الأعداء والكارهين.

- **العقرب:**

وهو رمز للشر المبيت في الخفاء، فهو يظهر فجأة ويضر فجأة ورآه الفنان الشعبي رمزاً لشيطان الإنسان وأسوأ العباد منهم، فلمح له ورسمه وأحاطه بالأشواك، ورسمه على قبور الأشقياء والقتلة والمجرمين، وصورة براس آدمي وجسد عقرب، ليقرب الرؤية وليفصح عن تفسيره لهذا العنصر.

ويطول المطاف حول أسطورة العقرب فنجد أن الإنسان البدائي قد لجأ لعبادته لتجنب شره، وفي النوبة المصرية نجده مرسوماً على جدران المنازل الشعبية بأشكال مختلفة شديدة الذاتية نحو شكله وحركاته، ومواقفه هجوماً ودفاعاً، وهذا يدل على مدى خشيته والخوف منه ودرجة تأثيره على الناس.

- **الثعبان والحية:**

رمز إليهما بالضرر غير المتوقع رغم ملمسهما الناعم، فهما يمثلان لدى الفنان الشعبي معنى خاص اختلق من تسللهما وهما يحملان سموم الاغتياب والبغضاء للإيذاء المباغت، فرسمهما في العديد من أعماله، وأستفاد من التوائهما ليحقق جماليات تشكيلية، خاصة عندما عبر بهما عن مكونات لديه حول فكرة الضرر بالآخر.

وتعد الأفعى أيضاً رمزاً للشيطان والكراهية والعدو، وهذا نظراً لتوحدها بالشيطان حين تسلل إبليس إلى الجنة داخلها ليغوي آدم وحواء.

- **الأسد:**

تؤكد الموروثات الشعبية أن للأسد مدلول روحي، والاستعانة به تحقق أغراض يعجز الإنسان عن تحقيقها بالوسائل المنطقية.

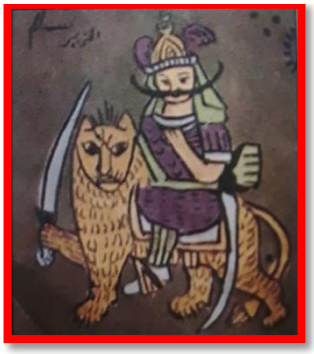

والأسد رمز للوثب والشر والفراق وفقاً للغرض الذي استخدم من أجله. وهو رمز للقوة والجبروت والسطوة والشجاعة، وكان يصوره الفنان الشعبي إلى جانب الأبطال والقواد، وأحياناً كان يصور الأسد ممسكاً سيفاً قاطعاً زيادة في تحقيق المعنى السابق وقد جاء التعبير عنه "رسماً من خطوط بسيطة عيناه على شكل عيني إنسان، يحمل بيده سيفاً، يقطع به أفعى، بمعنى أن الحق قوة والباطل هزيمة. وصور أيضاً إلى جانب الأبطال كالزير سالم، وكان من لون واحد له رأس بشري، خال من التفاصيل الدقيقة" [12]

- **القط الأسود :**

يراه الفنان الشعبي رمزاً للفأل الحسن وحلول البركة، وطارداً للشيطان والشرور والغضب، كما رآه كذلك المصريين القدماء بنفس المعنى، وجعلوه معبراً عن كل شلك في تعاويذهم ورسومهم، وهو أيضاً يحقق السعادة والبشرى.

- **البومة :**

على الرغم من أنها رمزاً للحكمة عند اليونانيين، إلا أنها شكلت عكس ذلك عن الفنان الشعبي المصري، فنظرا لهجرتها إلى الأماكن الخربة والمهجورة، أصبحت رمزاً للشؤم وعبر بها عن الإنسان المكروه جالب النحس والخسارة والأحزان.

- **الغراب:**

سمي في الفن الشعبي بـ (غراب البين) أي غراب الخيبة والشؤم وسوء الأخبار، وموضع البلاء وجلب المشاكل.

ويحكي أن نوح عليه السلام كان قد أرسله ليأتي له خبر أرض قريبة، فذهب ولم يعد، فدعي عليه نوح عليه السلام "بالغربة والسواد والأحزان والكآبة"، والتصق به هذا الدعاء حتى اليوم، فانقلب من وقتها لونه من الأبيض إلى الأسود.

الحمامة:

اعتبرها الفنان الشعبي رمزاً للسلام من سياق قصة سيدنا نوح عليه السلام، عندما أطلقها لتبحث عن أرض، فعادت وفي فمها غصن زيتون، ومن خلال هذه القصة اعتبرت رمزاً للسلام والخير والبركة والطاعة والنقاء، واستبقاها الفنان الشعبي تحمل هذه المعاني لديه.

[12] - أكرم قانصو: التصوير الشعبي العربي (مرجع سابق) – ص 87.

- **الديك:**

هو طائر داجن، له وضعه ومكانته عند الفنان الشعبي، وهو يرمز لانبلاج الفجر وبدأ يوم جديد بما يحوي من حركة ونشاط كما أنه رمزاً للبطولة والذكورة والعظمة.

- **الطاووس:**

رمز الحظ السعيد وقد استخدم كثيراً في العصر الإسلامي والقبطي بألوان زاهية وعلق في غرف العرسان.

أشكال الصناعية:

- **الإبريق:**

هو رمز الظهر والوضوء والصلاة والتقوى، والتقرب إلى الخالق، فصورته في رسوم الفنان الشعبي تومئ إلى هذه المعاني في رأيهن أو هكذا أورثته التقاليد والعادات، فتحرك في تشكيل هذا الإناء البسيط بأشكال متعددة ومتنوعة تبعاً لكل فنان كيفما يرى ويبتكر.

- **السيف:**

ويرمز للبطولة والشجاعة، فهو لا يرسم إلا في أيدي الأبطال والفرسان الشجعان، كما أنه رمزاً للفروسية، وقد رسمه الفنان الشعبي وتفنن في إبداع أشكاله وألوانه، فأحياناً يرسم في يد بطل وأحياناً في يد أسد، وفي كلتا الحالتين فإنه يرمز للنصر والشجاعة" [13]

أشكال الهندسية :

لم تقتصر الرموز في التراث الشعبي على الصور الواضحة، بل شملت الأشكال الهندسية والعناصر المجردة بأنواعها المتعددة، فكان لها جميعاً في الوسط لشعبي معان ودلالات:

- **الخطوط:**

مارس الفنان الشعبي رسومه بخطوط مختلفة دون تردد في الأداء إيماء إلى الصدق التلقائي، وهي رمزاً لشحنة وقتية يفرغها الفنان فور بدء العمل الفني، فهي رمزاً للتعبير المباشر. "أما الخطوط المتوازية والمتعرجة، التي ترمز إلى المياه المتدفقة، فقد رسمت بكثرة على القلل والأباريق الفخارية" [14] .

---

[13] - مريم محمد فؤاد تاج الدين: استخدام وحدات فن التراث الشعبي المصري في التصوير المصري المعاصر (مرجع سابق) ص 188-193، بتصرف.

[14] - أكرم قانصو : التصوير الشعبي العربي (مرجع سابق) – ص 94.

- **المثلث والمربع والدائرة:**

"كما رسمت الأشكال الهندسية (المثلث والمربع والدائرة) متداخلة ومتفرقة، للتعبير عن دلالات سحرية وطلاسم نشاهدها بكثرة في الوسم والسجاد والحصير" [15] ، وهم مرادفات لمعان كثيرة تعبر عن وجدان الفنان الشعبي، فهي تمثل تعاويذ أو زخارف ليس لها استخدام سوى التزيين، وقد استخدمها في العديد من تكويناته الزخرفية. ونجده يتناول هذه الرموز البسيطة بخصوصية غريبة ويحولها إلى معنى لصيق بفكره واقتناعه الموروث عن آباءه وأجداده.

فالدائرة مثلاً تتصل بالكثير من الأشكال المقدسة، فهي رمز لقرص الشمس أو القمر. وهناك أيضاً أشكال طبيعية تتحول إلى أشكال مجردة، ويزداد تجريدها إلى الحد الذي يتعذر معه على المرء أن يدرك أصل تلك الرموز. فرمز العين الواقية

اتخذ شكل الخطوط المتكسرة، واستخدم في النسيج والمصاغ المشغولات الخشبية. واتخذ شكل المربعين المتقاطعين وشكل المثلث أحياناً. كذلك بالنسبة لرمز الكف نجد أنه يتحول تباعاً إلى خطوط هندسية عددها خمسة.

- **الرموز اللونية:**

يلعب اللون دوراً أساسياً في الفنون الشعبية. فتلك الفنون تتميز ألوانها الفطرية الأولية، "ولا يخضع استخدام اللون (كرمز) إلى الصدفة وإنما لمحاكاة الطبيعة وتمثيل الواقع كما هو، حيث يتم اختيار بعض الألوان كما هي موجودة في الطبيعة" [16] .

"ومع أن لكل بيئة رموزها، إلا أنها تتفق جميعها في فطرية اللون: فالأحمر، والأصفر، والبرتقالي، والأسود، والأبيض، والأزرق – هي الألوان السائدة في الفن الشعبي في أي مكان، فاللون في الفن الشعبي رمز للبيئة، ورمز للفنان وأسلوبه المباشر في معالجة الأشياء، لهذا فالفنون الشعبية تتخاطب جميعها بلغة لونية واحدة وبأسلوب فني واحد" [17] .

"وقد استخدم الفنان الشعبي المصري ألواناً تحمل دلالات رمزية وتفسيرات معروفة لديه، ولها تأثيرها النفسي على المشاهد، متأثراً بأفكاره العقائدية الشعبية المتوارثة ونذكر منها:

- **اللون الأبيض:**

اتخذه الفنان الشعبي رمزاً للصفاء والسلام والفأل الحسن والطهارة، أما في الأمثال الشعبية فإنه يدل على الطيبة والكرم، ولهذا نجده مستخدم بكثرة على جدرتن المنازل النوبية والفخار على شكل نقوش ووحدات زخرفية.

- **اللون الأسود:**

وهو رمز للحزن والموت والعسر والضيق والشؤم، ويرمز للخطايا والمعاصي، وقد لون به الفنان الشعبي البوم والغربان ورموز الشر جميعاً.

- **اللون الأخضر:**

يعد اللون الأخضر رمزاً للخير والإيمان، فهو بلون النبات والخضرة المثمرة التي هي عماد حياتهم، فهو بذلك من الألوان المحببة لدى المصريين حيث يدعو للتفاؤل.

- **اللون الأزرق:**

ويرمز للمكر، فيقول فلان نابه أزرق أي أنه خبيث ماكر شديد الضراوة والضرر، وكثيراً ما يطلق عليه الشعبيين أخضراً خاصة الأزرق الفاتح (التركوازي) وذلك تفاؤلاً اللون الأخضر وكراهية للأزرق الداكن (الأزرق النيلي) حيث يدل على الشؤم والمحاذير والفأل السيء والحزن.

- **اللون الأحمر:**

ويرمز للحب والخطر والدم وأحياناً الموت، وهو يمثل في المعتقد الشعبي الشر والكفر وأحياناً يعبر عن الأفراح الأعياد. وإذا لون به الفنان الشعبي القلب والسهم، فهذا يكون تعبيراً عن قوة الحب والهيام بالحبيب.

- **اللون الأصفر:**

---

15 - أكرم قانصو : التصوير الشعبي العربي (مرجع سابق) – 94.

16 - منى كامل العيسوي: من التراث الشعبي المشغولات المعدنية (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – ط1 – 2008) – ص 194.

17 - حسين علي الشريف: الرمز في الفن الشعبي التشكيلي (مرجع سابق) – ص 100.

"يعد رمزاً للخبث، فيصفون الشخص الخبيث أن ضحكته سفراء، كما يرمز اللون الأصفر للمرض. وقد استخدم الفنان الشعبي هذه الرموز اللونية بنفس مدلولاتها ومعانيها الدارجة في بيئته الشعبية" [18].

" ومما سبق يمكننا أن نلخص خصائص الرمز الفني الشعبي بأنه: هندسي تجريدي نابع من البيئة المحيطة بالفنان معبر عن تقاليدها، وأنه يتميز بانطلاقة للتعبير، والبعد عن المقاييس المقننة في الفن الأكاديمي، كما أنه يحكي – عن طريق لغة الأشكال – القصص والمعتقدات الدينية والشعبية للمجال الشعبي – كما أن ألوانه رمزية تعبر عن تلقائيته في التعبير " [19]

– الرموز الشعبية المستخدمة في المنحوتات الشعبية:

من الفنون الإنتاجية، التي تلعب في تشكيلها الحاسة دوراً حيوياً، فن الفخار حيث يعد فن الفخار من الفنون التراثية التي تجسد الجوانب الاجتماعية والنفسية لصانعيها ومستخدميها، وهو فن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتراث التاريخي وبالأشكال المرئية في بيئة الصانع المحيطة، بالإضافة إلى أن هذه المهنة ترتبط بالعادات والتقاليد الشعبية والاجتماعية.

والأشكال الفخارية في مصر امتداداً لحضارة مصر الطويلة وربما كانت الأشكال الفخارية الشعبية خلفية وراء ابتكارات بعض الخزافين المعاصرين إذ ساعدت في الأشكال والهيئات أو في المضامين وكذلك ما تحمله من رموز وخطوط وهندسيات وتجريدات.

الأواني والمنتجات الشعبية الفخارية المرتبطة بمناسبات اجتماعية:

ظهر العديد من الانتاج التشكيلي الفخاري المرتبط بالمناسبات الاجتماعية، وهذا الارتباط لم يكن عشوائياً بل كانت له أصول فلسفية جعلت من تلك المنتجات رموز في حد ذاتها، ومنها نرى موضوع قلة الأسبوع التي ترمز للمولود الأنثى نظراً لشكلها الانسيابي الجمالي وعلاقتها التشكيلية تكون ألصق بالأنثى، وأما الإبريق بأشكاله المتعددة فأنه يرمز للمولود الذكر، ثم الشمعدان وغيره من الابداع الفني. والشكل (1) والخاص بتشكيل إبريق السبوع حاول فيه المبدع أن يجعل القيمة الجمالية فيه قيمة موروثة من خلال الظاهرة الاحتفالية المرتبطة بمرحلة من مراحل دورة الحياة، وأيضاً جعل العناصر التشكيلية ووحدات الزخرفة مرتبطة ارتباطاً كبيراً بالرمز الشعبي في هذه المناسبة، بالإضافة إلى أن التشكيل تم يدوياً في جميع مراحل إنتاج أبريق السبوع، والقاعدة التي امتد فوقها البدن أو كرش الإبريق، ثم الفوهة التي أعاد الفنان صياغتها بالشكل الذي يحقق فيه التوازن البصري، والتناغم الإيقاعي للبناء ككل.

ولأن التشكيل الفخاري في خصائصه تشكيلاً نحتياً، فإن المبدع في بناءه للشكل(2) اتخذ الرؤية الشعبية لحاملة الجرة منطلقاً لبناء إبريق شعبي، يعتمد على الرؤية الجمالية والعلاقات الفنية للعناصر الزخرفية والوحدات المركبة على حساب الاتجاه النفعي للإبريق، ولكنه في استلهامه للفكرة لم يتخل عن فن العروسة أيضاُ، ولا عن فكرة الشمعدان في الرقص البلدي. كما أن البدن المركب والمزخرف للوحدات المثلثة مع الدوائر المتكررة كلها صاغت ثوباً يبدأ بكرانيش متعرجة، وينتهي أيضاً بنفس الكيفية، وحرص الفنان على بقاء أدق التفصيلات "العقد حول رقبة العروسة" وكذلك لجأ إلى تأكيد واقعية التشريح عند الأجزاء التي تصورها لجمال العروسة، وكلها تعود إلى أسلوبية المعالجة الفنية للفن الشعبي.

أما عن الشمعدان فنجد الفنان الشعبي انفعل به وعبر عنه بصيغ مختلفة، فنجد في الشكل (3) إن الفنان الشعبي لم يجد بديلاً من تكرار لوحدة واحدة بشكل تصاعدي، مستخدماً أسلوب التشكيل اليدوي، محدثاً تناعماً بين الوحدات المشكلة والفراغات المختلفة في المساحات الموظفة توظيفاً تشكيلياً لذاتها. إلى جانب هذا، الفكرة الجدية التي أضافها المبدع في التشكيل النهائي، بأن جعل الشمعدان يحمل في قيمته قلة متكاملة في الصياغة والتشكيل لتضفي إحساساً جمالياً ناعماً يسحب العين إلى مفرد فني يختلف في أسلوب المعالجة، من حيث السطح ووحدات الزخرفة، لتكون المحطة التي تهدأ فيها العين من التكتل الزخرفي الموجود في بدن الشمعدان.

---

[18] - مريم محمد فؤاد تاج الدين: استخدام وحدات فن التراث الشعبي المصري في التصوير المصري المعاصر (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة الإسكندرية، 1998) – ص 194-195، بتصرف

[19] - حسين علي الشريف: الرمز في الفن الشعبي التشكيلي (مرجع سابق) – ص 100.

كما لاحظت الباحثة ميل الفنان الشعبي لإظهار براعته الفنية والإبداعية فكان أكثر ميلا للإنتاج الأشكال البنائية المركبة وخاصة في الأشكال المرتبطة بالمناسبات الاحتفالية، فنجد في الشكل (4) شمعدان ذا أجنحة به أدوار لرشق الشموع وتوضع على فوهته العليا تركيبة أما إبريق للمولود الذكر أو قلة للمولودة الأنثى، مما يعكس رؤية فلسفية وقدرة على التوظيف لأدوات التشكيل بشكل واع.

شكل (1)
أبريق سبوع من الفخار

شكل (2)
– تشكيل يدوي نموذج من عرائس الشمعدان الشعبي

شكل (3)
شمعدان سبوع ذو هيئة تركيبية يعلوه قلة

شكل (4)
شمعدان ذو اجنحة يعلوه إبريق سبوع

أخيراً ومن خلال تحليلنا لتلك الرموز الشعبية والمنحوتات والأواني الخزفية السابقة نستطيع استخلاص أن الدوائر والمثلثات والأشكال الرباعية (مربع– مستطيل– معين) والخطوط العرضية والطولية والمتقاطعة والمتعرجة والزوايا وأشكال الحيوان والطيور والنبات وغيرها كلها رموز ذات دلالة رمزية استطاع الفخاري أن يستغلها ويوظفها بمهارة واقتدار في معظم إنتاجه وإذا ما أخذنا أي شريحة من هذا الإنتاج وأمعنا النظر فيها فلسوف نجد أن الفخاري يميل أولاً إلى استخدام الدوائر والخطوط الرأسية والمثلثات إلى الوحدات النباتية من الزهور أو الكائن الحي (طيور– حيوانات) ثم يشغل بعض المساحات الفراغية بعبارات خطية (الحب– الدعاء– الحكم– الأمثال– العبارات الدينية والتقليدية)، هذا إلى جانب اشكاله ومنحوتاته التركيبية البنائية التي جاء تنفيذها في نسق هندسي متزن بالغ المرونة والطواعية في إحكام ذكي جميل.

كما ان فهمنا للبعد الرمزي للعناصر والزخارف الشعبية استطاع ان يفسر كيف أن الفخار وغيره من الحرف الشعبية العريقة أن يشد انتباه وأنظار الفنان التشكيلي الأكاديمي، حين وجد فيها نبعاً هائلاً حافلاً بالقيم والدلالات والعناصر الفنية والجمالية والثقافية وزيادة على ذلك فهي صادرة أصلاً من أرضه وبيئته ومجتمعه ومن ثم فقد تمكن وهو الانسان الدارس لأصول الفن وتاريخه والدارس لفلسفة الجمال والذي يمتلك التقنية الفنية، من أن يستغل من المفردات الشعبية ويوظفها على أسس علمية قومية ثم يستحدث منها أشكالاً وصيغاً وتراكيب جديدة، يصب فيها من مشاعره وخياله وإنسانيته ورؤيته الداخلية فضلاً عن أنها تتسم في الوقت نفسه بالحداثة والتميز والخصوصية.

وفي هذه الحدود فقط، يمكن للفنان المصري المعاصر أن يحدد كيف تكون استفادته من التراث المصري القديم. وكيف يظهر أثر هذه العناصر في طابعنا القومي، بعد أن تنصهر في بوتقة التكوين الكلي الزاخر بالمتغيرات.[20]

[20]- راجي عنايت: فنوننا المعاصرة القديمة ودورها في تشكيل الابع القومي لفنوننا التشكيلية (الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1978)- ص 140.

التوصيات:

- رفع مستوى الحرفي في كافة النواحي الصحية والاجتماعية والثقافية حتى يتم الاستفادة من ذلك في مستوى أعماله.
- ربط المتعلم بالرموز الشعبي والثقافة المحلية في مجال الخزف لتنمية الابتكار والإبداع لديه.
- استخدام خدمات محلية شعبية متوفرة وتتميز بانخفاض تكلفتها.
- إلقاء الضوء على القيم والمعتقدات المتوارثة والأساليب المستحدثة والخدمات التقليدية والبيئية المستخدمة في انتاج الفنون والمنتجات التقليدية والشعبية والعمل على تطويرها واحياء ما انقرض منها.
- التعرف على العوامل المؤثرة بالسلب أو الايجاب في تطوير الصناعات التقليدية المصرية وتحديد المشاكل التي تعوق تطورها وانتشارها.
- مناقشة برامج تطوير وتحديث الصناعات التقليدية ومتطلبات جودة منتجاته.
- التعريف بالمنتج التقليدي المصري وكيفية دعم قدراته التنافسية للتوافق مع المتغيرات العالمية وتوفير المعلومات والدراسات التي تدعم تأصيل المنتج التقليدي المصري.
- اقتراح البدائل التي تساعد على جذب جيل جديد من الصناع والحرفين للعمل في مجال الصناعات التقليدية التي كادت أن تنقرض.
- إفراد بعض الدراسات التي تتناول مراكز التدريب الحرفي لإنتاج الخزف، ومناقشة هياكل وأساليب التدريب والتأثير البيئي والجغرافي على عمليات التدريب.

- **المراجع**:

1- أكرم قانصو: التصوير الشعبي العربي "سلسلة عالم المعرفة- المجلس الوطني للثقافة والفنون- الكويت" 1995م.
2- حسن محمد حسن: الأسس التاريخية التشكيل المعاصر (دار الفكر العربي، القاهرة) 1979م.
3- محمود النبوي الشال: الفنون الشعبية التشكيلية "الهيئة المصرية العامة للكتاب- مجلة الفنون الشعبية"- العدد 56- 1989.
4- جدى منصور: الرمزية في الفن الحديث "وزارة الاعلام- عالم الفكر- المجلد السادس عشر- العدد الثالث 1985 الكويت.
5- أحمد أبو زيد: الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي "عالم الفكر، المجلد السادس عشر" العدد الثالث.
6- عديلة محمود سامي: استخدام الرمز الشعبي عن عبدالهادي الجزار ودلالته في التراث الشعبي المصري دراسة تحليلية رسالة دكتوراه غير منشورة، المعهد العالي للفنون الشعبية القاهرة 2001م.
7- حسين علي الشريف: الرمز في الفن الشعبي التشكيلي "مجلة الفنون الشعبية الثقافية والإرشاد القومي" العدد الثاني ابريل 1965م.
8- مرفت حسين السويفي: اتجاهات الخزف المصري المعاصر "مطابع لوتس بالفجالة القاهرة 1995م.
9- عديلة محمود سامي: استخدام الرمز الشعبي عند عبدالهادي الجزار ودلالته في التراث الشعبي المصري.
10- مريم محمد فؤاد تاج الدين: استخدام وحدات في التراث الشعبي المصري في التصوير المصري المعاصر.
11- منى كامل العيسوى: عن التراث الشعبي المشغولات المعدنية "عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية"
12- راجي عنايت: فنوننا المعاصرة القديمة ودورها في تشكيل الابع القومي لفنوننا التشكيلية "الهيئة المصرية العامة للكتاب 1978م".